

جهاد بلا رؤية

تزايد قناعتني أن الفهم الخاطئ لمفهوم الجهاد أوجد اشكالات ضخمة في عقل كثير من الناس من المسلمين وغيرهم، ولعل مكنم الخطورة في أن التطرف يتغذى بأراء مغلفة بالدين، وأفكار مغلوطة تشوه المعاني الإنسانية، وتخالف مخالفة صريحة القيم الإسلامية الصريحة التي تنص نسا على ضرورة حفظ الدماء، وعدم ترويع الأمنين. قال الحق سبحانه " مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُشْرِفُونَ (32)". (سورة المائدة).

وفي ظل غياب التنشئة الصحيحة، وعجز الحكومات، وتمزق النخب الثقافية، والاضطراب الدولي المخزي وجد الشباب المتطرف في القتال طريقة لترجمة معتقداته، وبث سمومه، واعتناق شعارات عقيمة ولكنها براقية كما وجد الشباب في طائفة من الكتابات الدينية ذريعة لشن الهجوم على المخالفين. ومهما حاولنا التنصل والتملص من المسؤولية المجتمعية فإن ما يسمونه اعلاميا بالسلوكيات الدخيلة والفئة الضالة خرجت بفعل انحراف خطير في الخطاب التربوي والديني إضافة إلى التداعيات الدولية. إن الشباب الذي يسمع أن المسرح بؤرة فساد، والموسيقى انحراف، والفن عفن، والديمقراطية كفر، والتسامح انحلال لا شك أنه سيعادي المظاهر الحضارية وسيجاهد في محاربتها بل سيحتقر العالم ويشن هجوما على المسلمين "المرتدين" وغيرهم.

ومن المنظور الدولي فإن هشاشة السياسات الدولية، واختلال موازينها، واستبداد القوى العظمى من أعظم بواعث تمدد الارهاب وزيادة لهيبه. نجح الارهابيون في حشد جحافل الشباب ووعدهم بجنة الخلافة فإذا هي خديعة كبرى في طياتها مآرب شخصية، وانحرافات ذهنية، وباسم الدين عاثوا في الأرض فسادا. جهاد بلا رحمة ولا رؤية ولا فقه ولا وعي جعل الميدان مفتوحا لنشر الفوضى، وسفك الدماء، ونشر الفساد.

ليس من الحكمة في شيء أن يتم نقد الفكر الديني ونسف كل أركانه كما أنه في الوقت ذاته ليس من الحكمة أبدا أن نستमित في الدفاع دائما عن جميع الموروثات الدينية لأنها لا تخلوا من مواطن النقص وجوانب الخلل، والمراجعة المتأنية لموروثاتنا الثقافية ضرورة عصرية. الدين كله جميل أما التدين فقد يصيب وقد يخطئ والكلام البشري غير معصوم وإن كان رأيا لمتخصص متمكن.

فشل الارهابيون في أمرين في فهم روح الجهاد في الإسلام من جهة، وفي استيعاب المتغيرات العصرية من جهة أخرى. إن مناقشة الاشكاليات بحثا وتدقيقا وغربلة لا تعني التهوين من شأن عموم التراث أو الطعن في الأشخاص إنما هي مقاربات منهجية جادة لفهم قضاياها وتفريعاتها وانعكاساتها على حياتنا.